

يوميات بحار .

١ - رجب

فهذا شاب لا يزال في أول شبابه وصل أمس من الغوص وطلب اليوم للابتداء في العمل كما طلبت وعجبت حين سأله - ويحق لي ولك أن نعجب - عن عدم استطاعته البقاء بين أهله وعدم الموافقة على هذا السفر المبكر عجبت عندما قال لي إنه لا يستطيع الرفض لأنه مدين بمبلغ يقدر بآلاف من الروبات . .
أما كيف تجمع عليه هذا المبلغ الكبير من الدين فهذا ما سأسرده موجزاً .

قال الشاب وهو ينفث دخان سيجارته بعصية ظاهرة ويرسل الزفرات واحدة تلو الأخرى، قال: إنني لم يمض على في مزاولة هذه المهنة - أى مهنة السفر - إلا سنة واحدة فقط .
وبادرنى الشاب عندما حاولت أن أفتح فى لأسأله قائلاً:
على رسلك يا صاح ، فأنا متوقع سؤالك هذا وعالم بما يدور فى خلدك أفتريد أن تسألنى كيف تجمع على هذا المبلغ الضخم وأنا لم أزال هذه المهنة إلا سنة واحدة ، وقبل أن ينتظر منى الموافقة على سؤاله استمر يسرد قصته قائلاً :

لقد كان لى أب قضى عشرين عاماً فى خدمة هؤلاء القوم وتراكم عليه مبلغ ضخم لم يستطع مداده لقة الحصول وكثرة المصروف ، وعندما اختاره الله سبحانه وتعالى الى جواره طالب دائنوه بما لهم عليه من دين ، وبما أن والدى لم يترك لنا غير هذا البيت - إن صح أن يسمى بيتاً - الذى اسكنه والدتى وأخواتى لم يتورع هؤلاء القوم من مضالبتنا بإخلائه ؟ .

وحين تسأل أوتحتج يقولون لك إنه القانون ؟ أى قانون هذا الذى ينص على تشريد مثل هذه الأسرة المسكينة وعلى فرض أن القانون نص على ذلك فأين الإنسانية أين الضمير ؟ أيرضى أحدكم أن يرى عائلة تطرد من بيتها لالذنب جنته . لتعيش عائلة على المجتمع ؟ هل يسمح ضميرك أن تترك هذه العائلة يدها لتسكن على قارعه الطريق أو فى أما كن مهجورة ؟ ؟

وأقسمت والدتى - رحمها الله - حين علمت بالامر أغلظ الايمان على أنها لن ترحل البيت ولو كان فى ذلك هلاكها وأخذت تبكى وتندب وأخواتى من حولها يبكين

لم يمض على وصولى من الغوص خمسة أيام حتى طلبنى "توخذا السفر" لأبدأ العمل فى سفنته لأنه لم تبق على الموسم إلا أيام معدودات يجب أن نجهز فيها سفينتنا للرحلة القادمة . وما أن علمت زوجتى بالخبر حتى وقع عليها كالصاعقة وانخرطت أمامى فى بكاء مرير . رلا لوم عليها إن بكت إذ لم تتمتع بسعادة الحياة الزوجية التى طالما تأقت إليها وانتظرتها بفارغ الصبر .

إننا معشر البحارة قوم نكون السواد الأعظم من الشعب الكويتى الذى عاش ولا يزال يعيش على البحر .
حياتنا تمشى على وتيرة واحدة . عمل شاق متواصل نقضيه فى عرض البحر وبين أمواجه .

حياتنا كلها مغامرات ومخاطرات !
حياتنا غربة مريرة ، بعيدين عن الأهل وفى منأى عن الأوطان والأصحاب .

حياتنا شقاء وعذاب . .
حياتنا معلقة بين يدى الأقدار .
فالبهار منا يترقب الموت فى كل يوم بل وفى كل ساعة فهو لا يدري أتهب اليوم عاصفة هوجاء تودى به وبأصحابه فيطوئهم البحر بين أمواجه ويبتلعهم إلى قراره أم ترتطم سفينتهم غداً بجزيرة صغيرة فى عرض البحر فيذهبون ضحية الأقدار .

إنى لأريد أن أتحدث عن مصاعب البحر ومصائبه الكثيرة وحوادثه المتعددة ، فقد سبقنى فى هذا المضمار كثيرون ولو أردت لما استطعت أن أحصرها فى هذه اليوميات القليلة المختصرة .

٥ - رجب

ذهبت اليوم مبكراً إلى د ديوان النواخذة ، حيث وجدت جمعاً من إخوانى البحارة فأخذنا نتحدث فى شؤوننا ومصائبنا وأخذت أستمع إلى كل واحد منهم ، وهنا يأخذك العجب إذا قلت لك أن كل واحد منا نحن البحارة قصة مريرة مؤلمة .

أيضاً ويندين ، وكان منظرأً بقت الأكد وتمنيت لو
أنى مت قبل أن أرى أسرقى على وشك التشرذ .
وعندما ذهبت إلى « النواخذة » أسألهم الرأفة والعطف
على هذه الأسرة التى نكبت بموت عائلتها ، وهامى ذى ستنكب
فى فقد بيتها وملاذها وكل ماتبقى لها فى الوجود . أتدرى
ماذا كان جوابهم على ذلك ، طلبوا إلى أن أكتب على
نفسى تعهداً بأن أعمل فى خدمتهم وأسافر مع سفنهم حتى
أسدد ماعلى أبى من دين ؟ وهكذا وقعت ذلك العقد الجائر

تحت تلك
الظروف
الحرجة
القاسية .
وها أنا ذا
الآن
لا أستطيع
التصرف فى
حريتى
الشخصية التى
هى ملك لكل
إنسان بل
ليخيل إلى
أننى مملوك
لهؤلاء القوم
يتصرفون بى
كيف يشاؤون
وهذا شاب
يقول إنه
أراد أن ،
يسافر مع
هؤلاء
النواخذة

أُغِيَا عَلَى أَخٍ وَثِقْتُ بِوَدِّهِ
وَخَبَرْتُ هَذَا الدَّهْرَ خَبْرَةَ نَاقِدٍ
لَا أَشْتَرِي بَعْدَ التَّجَارِبِ صَاحِبًا
وَيَجِئُ طَوْرًا ضَرَّهُ فِي نَفْعِهِ
فَصَبِرْتُ لَمْ أَقْطَعْ حِبَالَ وَدَادِهِ
وَأَخٍ أَطَعْتُ فَمَا رَأَيْتُ لِي طَاعَةً
وَتَرَكْتُ حُلَاوَ الْعَيْشِ لَمْ أَحْضَرْ بِهِ
وَالْمَرْءُ لَيْسَ بِنَافِثٍ فِي أَرْضِهِ
أَنْفَقَ مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ
وَاحِلٌ وَإِنْ سَفِهَ الْجَلِيسُ فَقُلْ لَهُ
فَأَحْبَبُ إِخْوَانِي إِلَى أَبْشُهُمِ
لَا خَيْرَ فِي بَرٍّ الْفَتَى مَالَمْ يَكُنْ
أَلْقَى الْفَتَى فَأَرِيدَ فَائِضَ بَشَرِهِ
يَا رَبِّ مُضْطَظِّنِ الْفَوَادِ لِقِيَّتَهُ

وَأَمَنْتُ فِي الْحَالَاتِ عَقْبِي غَدْرِهِ
حَتَّى أَنْسَتُ بِخَيْرِهِ وَبَشَرِهِ
إِلَّا وَدَدْتُ بِأَنِّي لَمْ أَشْرِهِ
جَهْلًا وَطَوْرًا نَفْعُهُ فِي ضَرِّهِ
وَسَتَرْتُ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُ بِسِتْرِهِ
حَتَّى خَرَجْتُ بِأَمْرِهِ عَنْ أَمْرِهِ
لَمَّا رَأَيْتُ أَعَزَّهُ فِي مُرَّةٍ
كَالصَّقْرِ لَيْسَ بِصَائِدٍ فِي وَكْرِهِ
لَمْ يَخْشَ فَقْرًا مَنْفَقَ مِنْ صَبْرِهِ
حَسَنَ الْمَقَالِ إِذَا أَتَاكَ بِهِ جَرْمُهُ
لِصَدِيقِهِ فِي سَرِّهِ أَوْ جَهْرِهِ
أَصْنِي مَشَارِبَ بَرِّهِ فِي بَشَرِهِ
وَأَجَلٌ أَنْ أَرْضَى بِفَائِضِ بَرِّهِ
بِطَلَاقَةِ تَغْنِيكَ مَا فِي صَدْرِهِ

« أبو فراس الحمداني »

هذه المأساة . .

لم نستطيع مقابلة النواخذة فى هذا اليوم لأنه كان
مدعوأً فى حفلة سمر خارج المدينة . .

د طبق الأصل ،

باسم عبد العزيز قطامي